Kufa Journal of Arts
December 2025. No. 66, P 348-358
Faculty of Arts, University of Kufa.

مجلة آداب الكوفة
العدد ٦٦، كانون الأول ٢٠٢٥م، ص ٣٤٨-٣٥٨
كلية الآداب، جامعة الكوفة

ISSN (Print): 1994-8999, ISSN (online): 2664-469X. DOI Prefix: 10.36317

نقد الأسس العلمية لموقف صادق جلال من الفكر الديني

م.م تيسير رسول عكاب
جامعة الكوفة-كلية الآداب
tasirr.alluhabi@uokufa.edu.iq

الأستاذ المساعد الدكتور حيدر عبد الزهرة رحيم
جامعة الكوفة-كلية الآداب
hayder.alkhuzaie@uokufa.edu.iq

الملخص:

يتمركز الفكر الديني في مكانة واسعة لدى الدراسات العربية والإسلامية، ويدخل في مجالات متعددة ومتشعبة من مفاصل المجتمع العربي والإسلامي تنظيراً وسلوكاً، وعنه كثير من المؤلفات والخطابات والبيانات والمواقف تجاه الأحداث الواقعة كافة على اختلاف موضوعاتها، وقد تعرض له العديد من العلماء والمفكرين بالنقد والتجديد، ومنهم محمد أقبال، ومرتضى المطهري، ومحمد أركون، وصادق جلال العظم وهو موضوع بحثنا، وأما السؤال الذي يدور حوله البحث؛ فهو: هل أنّ آراء صادق جلال العظم في موضوعة نقد الفكر الديني قابلة لدراسة نقدية من حيث الأسس التي تبنى عليها نقده ومن حيث النقد نفسه؟ وأما أهم النتائج التي تمخض عنها البحث؛ فهي: أن موقف صادق جلال النقدي من القصص القرآني هو موقف مقتصر على الحس فقط، فضلاً عن تجاوز صادق جلال لأسيجة نقد الفكر الديني واقتحامه لحدود الدين، وأنّ ابتناء انتقاد صادق جلال للتوفيق بين العلم والدين على علم الأجنة هو ابتناء قائم على الخلط بين الايجاد بالقانون الطبيعي والايجاد الاول، فضلاً عن انقلاب استدلاله في نقده للتوفيق بين العلم والدين بالاعتماد على النظرية الموجية إذ اثبت شيئا من حيث اراد انكاره، إذ اثبت وجود غير المرئيات من حيث اراد انكارها.

الكلمات مفتاحيّة: صادق جلال العظم؛ الأسس العلمية؛ الفكر الديني؛ النقد؛ التجريب؛ علم الأجنة؛ النظرية الموجية؛ إبليس والجن والملائكة.

Criticism of the scientific foundations of Sadiq Jalal's

Taiseer Resool Egaab
University of Kufa - college of Arts

Asst. Prof. Dr. Haider Abdul-Zehrah Reheem
University of Kufa - college of Arts

Abstract:

Religious thought is concentrated in a broad position among Arab and Islamic studies, and it enters into multiple and manifold fields of the joints of Arab and Islamic society in theory and behavior, and it has many literature, letters, statements, and attitudes towards all the events on its various topics, and many scholars and thinkers have criticized and renewed it, including from them Muhammad Iqbal , Murtada Al-Muthari, Muhammad Arkoun, and Sadiq Jalal Al-Azm, which is the subject of our research, and the question about which the research revolves is: Are the views of Sadiq Jalal Al-Azm in the topic of criticism of religious thought subject to critical study in terms of the foundations upon which his criticism is based and in terms of It has the same? As for the most important results of the research, it is: that Sadiq Jalal's critical attitude towards the Qur'anic stories is a position that is limited to sense only, in addition to Sadiq Jalal's passage of the fences of criticizing religious thought and his storming of the limits of religion, and that adopting Sadiq Jalal's criticism for reconciling science and religion over fetal science It is an innovation based on confusion between Ijd with the natural law and the first, as well as a coup inference in his criticism for reconciling science and religion with reliance on wave theory, as it

DOI: https://doi.org/10.36317/kja/2025/v1.i66.20278
Kufa Journal of Arts by University of Kufa is licensed under a Creative Commons Attribution 4. 0 International License.
مجلة آداب الكوفة - جامعة الكوفة مرخصة بموجب ترخيص المشاع الإبداعي ٤,٠ الدولي.

proved something in terms of its will to deny, as it proved the existence of the invisible in terms of its will to deny it.

Key words: Sadiq Jalal al-Azm; scientific foundations; religious thought; criticism; experimentation; embryology; wave theory; Satan, jinn and angels.

المقدمة

يتمركز الفكر الديني في مكانة واسعة لدى الدراسات العربية والإسلامية، وفضلاً عن هذا هو يدخل في مجالات متعددة ومتشعبة من مفاصل المجتمع العربي والإسلامي تنظيراً وسلوكاً، بدءاً من إنتاج الفتاوي إلى تدبير الشأن العام والخاص إجمالاً وتفصيلاً، وعنه كثير من المؤلفات والخطابات والبيانات والمواقف تجاه الأحداث الواقعة كافة على اختلاف موضوعاتها، ومع هذا كله يحصل كثير من الخلط بين نقده ونقد الدين نفسه! فحينها يكون الطعن بالدين نفسه عن طريق نقد الفكر الديني، نتيجة لتجاوز الناقد على أسيجة موضوعات الدين وخروجه عن حدود موضوعات الفكر الديني على نحو الالتباس والخلط في الموضوع براءةً أو أدلجةً! وحتى يكون الفكر الديني منتجاً فلابدّ من فكّ هذا الالتباس، وفك الالتباس مرتبط بتقدير أسيجة الفراغات العازلة بين الفكر الديني والدين، وقد تعرض له العديد من العلماء والمفكرين بالنقد والتجديد، ومنهم محمد أقبال، ومرتضى المطهري، ومحمد أركون، وصادق جلال العظم وهو موضوع بحثنا.

وأما السؤال الذي يدور حوله البحث؛ فهو: هل أنّ آراء صادق جلال العظم في موضوعة نقد الفكر الديني قابلة لدراسة نقدية من حيث الأسس التي تبنى عليها نقده ومن حيث النقد نفسه؟، وجاء البحث مقسماً على مقدمة وثلاث نقاط وخاتمة، إذ درستُ في الأولى نقد الأساس التجريبي لموقف صادق جلال من الفكر الديني، وبينتُ فيه موقف صادق جلال من الفكر الديني على الأساس التجريبي وقدمتُ نقداً لموقفه هذا، ودرستُ في الثانية نقد الأساس البيولوجي لموقف صادق جلال من الفكر الديني، وبينتُ فيه موقف صادق جلال من الفكر الديني على الأساس البيولوجي وقدمتُ نقداً لموقفه هذا، ودرستُ في الثالثة نقد الأساس الفيزيائي لموقف صادق جلال من الفكر الديني، وبينتُ فيه موقف صادق جلال من الفكر الديني على الأساس الفيزيائي وقدمتُ نقداً لموقفه هذا. وأما الخاتمة فاشتملت أهم ما توصلت إليه من نتائج في هذه الدراسة.

أولاً: نقد الأساس التجريبي لموقف صادق جلال من الفكر الديني

أ- تأسيس موقف صادق جلال على التجريب

بيَّن صادق جلال المنهج المعتمد في الدين للوصول إلى المعارف حول نشأة الكون وأصل الإنسان وتاريخه، إذ قال: "فبالنسبة للدين الإسلامي (كما بالنسبة لغيره) أنّ المنهج القويم للوصول إلى هذه المعارف والقناعات هو الرجوع إلى نصوص معينة تعتبر مقدسة أو منزلة، أو الرجوع إلى كتابات الحكماء والعلماء الذين درسوا وشرحوا هذه النصوص، أما تبرير العملية

ISSN (Print): 1994-8999, ISSN (online): 2664-469X. DOI Prefix: 10.36317

بأسرها فيستند إلى الإيمان أو الثقة العمياء بحكمة مصدر هذه النصوص وعصمته عن الخطأ"(العظم,١٩٧٠، ص٢٢).

أما الطريقة العلمية للوصول إلى معارفنا عن الكون والإنسان فإنّها تقوم على المنهج العلمي الذي يتنافى مع المنهج الديني الإتباعي، إذ قال صادق جلال: "ومن نافل القول أنْ نردد أنّ الطريقة العلمية في الوصول إلى معارفنا وقناعاتنا عن طبيعة الكون ونشأته وعن الانسان وتاريخه تتنافى تماماً مع هذا المنهج الاتباعي السائد في الدين، لأنّ المنهج العلمي قائم على الملاحظة والاستدلال ولأنّ التبرير الوحيد لصحة النتائج التي يصل اليها هذا المنهج هو مدى أتساقها المنطقي مع بعضها ومدى انطباقها على الواقع" (العظم, ص٢٢).

ويناقش صادق جلال قول الموفقين بين العلم والإسلام بأنّ الإسلام دين خالٍ من الأساطير فيرد عليهم، ويقول: "يشدد القائلون بالتوافق التام بين الإسلام والعلم أنّ الإسلام دين خال من الأساطير والخرافات باعتبار أنّه والعلم واحد في النهاية، لنمحص هذا الادعاء التوفيقي بشيء من الدقة بإحالته إلى مسألة محددة تماماً، جاء في القرآن مثلاً أنّ الله خلق آدم من طين ثم أمر الملائكة بالسجود له فسجدوا إلاّ إبليس، مما دعا الله إلى طرده من الجنة، هل تشكل هذه القصة أسطورة أم لا؟ نريد جواباً محدداً وحاسماً من الموفقين وليس خطابة، هل يفترض في المسلم أنْ يعتقد في النصف الثاني من القرن العشرين، بأنّ مثل هذه الحادثة وقعت فعلاً في النصف الثاني من القرن العشرين، بأنّ مثل هذه الحادثة وقعت فعلاً في تاريخ الكون؟ أنْ كانت هذه القصة القرآنية صادقة صدقاً تاماً وتنطبق على واقع الكون وتاريخه (أنّها كلام منزل) لابد من القول إنّها تتناقض تناقضاً صريحاً مع كل معارفنا العلمية، ولا مهرب عندئذ من الاستنتاج بأنّ العلم الحديث على ضلال في هذه القضية وأنْ لم تنطبق القصة القرآنية على الواقع ماذا تكون إذن (في نظر الموفقين)، أنْ لم تكن أسطورة جميلة؟" (العظم ,١٩٧٠،ص٣٦-٣٧).

يتساءل صادق جلال عن موقف المثقف ثقافة علمية من المعتقدات الدينية، إذ قال: "كيف يكون موقف الإنسان الذي تعرض للثقافة العلمية وتأثر بها تأثراً جذرياً، من المعتقدات الدينية التقليدية والمؤسسات التي تتجسد فيها؟ أيستطيع هذا الانسان أنْ يستمر في الاعتقاد بآدم وحواء، وبالجحيم والنعيم، وبأنّ موسى شق البحر الأحمر وحول عصاه حية تسعى؟" (العظم, ص٢٩) وأيضاً قال: "هل يفترض في المسلم في هذا العصر أنْ يعتقد بوجود كائنات مثل الجن والملائكة وإبليس، وهاروت وماروت، ويأجوج ومأجوج، وجوداً حقيقياً غير مرئي باعتبارها مذكورة كلها في القرآن، أم يحق له أنْ يعتبرها كائنات أسطورية مثلها مثل آلهة اليونان وعروس البحر والغول والعنقاء" (العظم, ص٣٧).

فينكر صادق جلال وجود الله والملائكة والجن كموجودات حقيقة، إذ قال: "إنّ كلامي عن الله وابليس والجن والملائكة والملأ الأعلى لا يلزمني على الأطلاق بالقول بأنّ هذه الأسماء تشير إلى مسميات حقيقية موجودة ولكنها غير مرئية" (العظم, ص٨٦).

وفي مقابل ذلك نجد حسن حنفي الذي بين أنّ ما ورد في الكتب المقدسة من قصص هي من قبيل الرموز التي تدل على معاني عقلية أو روحية، فيقول: "أما ما يذكر في الكتب المقدسة

ISSN (Print): 1994-8999, ISSN (online): 2664-469X. DOI Prefix: 10.36317

من قصص حول آدم وحواء والملاك والشيطان وإبليس والجنة والنار إلى آخر ما ينأى عنه البعض باعتباره تفكيراً غير علمي فقد أعتبره الفلاسفة من قبل مجرد رموز تدل على معانٍ عقلية أو روحية وأنكروا مادية الوقائع أو أحداثها التاريخية ولم يستبقوا إلاّ المعاني التي يمكن لجميع العقلاء الاتفاق عليها والتحقق من صدقها وتطابقها مع الواقع على المستوى العام دون أنْ تتعلق الحادثة بدين معين أو بلحظة تاريخية معينة" (حنفي , ١٩٨٣م، ص٩٠).

ب- نقد تأسيس صادق جلال لموقفه على التجريب

إنّ الحقائق الغيبية كالملائكة والجن وإبليس والجنة والنار هي حقائق أثبتها الوحي ولا سبيل للعلم بها عن طريق الحس والتجربة، وأنّ عدم قدرة الحس والتجربة على ملامسة هذه الأشياء، لا ينفي أنْ تكون هذه الأشياء حقيقة أيضاً كالأشياء الحسية، لذلك فالرجوع إلى النظرة العلمية للحكم على ما هو خارج عن نطاقها يُعد مسلك غير علمي(شمس الدين,٢٠٠٦م، ص١٢٣).

كما أنَ عدم القدرة على رؤية الملائكة والجن رؤية مادية لا يدل على عدم وجودهما، تماماً كما لانرى بأعيننا ملايين الميكروبات المنتشرة في الهواء, رغم تأكيد العلم الحديثعلى وجودها فربما يكون السبب في عدم التمكن من رؤية الجن والملائكة هو قصور الطاقات البشرية وعجز القدرة عن تحقيق هذه الرؤية وعدم توافر الإمكانات التي تتطلبها، فالرؤية تتطلب نوعاً من الصفاء الروحي والسمو الوجداني وعمق الإيمان الذي به ترفع الاستار وتزول الحجب فيرى المرء ما لا يراه غيره ممن لم توجد فيهم تلك المزايا التي توصل إليها(فراج, ١٩٨٢م، ص١٠٧-١٠٨).

وبين صادق جلال أنّ يأجوج ومأجوج وهاروت وماروت هي من قبيل الموجودات الغير مرئية، ولكن القرآن الكريم ذكر يأجوج ومأجوج مرتين، في سورة الكهف قال تعالى: ﴿قالُوا يا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلى أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا، قالَ ما مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا، آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّى إِذا ساوى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قالَ انْفُخُوا حَتَّى إِذا جَعَلَهُ نارًا قالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا، فَمَا اسْطاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطاعُوا لَهُ نَقْبًا﴾ (القرآن الكريم، الكهف: الآية من ٩٤-٩٧)، وفي سورة الأنبياء قال تعالى: ﴿حَتَّى إِذا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ ومأجُوجُ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ، وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذا هِيَ شاخِصَةٌ أَبْصارُ الَّذِينَ كَفَرُوا يا وَيْلَنا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِنْ هذا بَلْ كُنَّا ظالِمِينَ﴾(القرآن الكريم، الأنبياء، الآية من٩٦-٩٧)، عند الإمعان في هذه الآيات يتبين أنّ يأجوج ومأجوج قومان من الناس أو طائفتان، وليسوا من قبيل الموجودات غير المرئية، أما هاروت وماروت فقد ذكرهما القرآن الكريم في سورة البقرة قال تعالى: ﴿وَاتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَـكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولاَ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلاَ تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلاَ

ISSN (Print): 1994-8999, ISSN (online): 2664-469X. DOI Prefix: 10.36317

يَنفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُواْ لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلاَقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْاْ بِهِ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ﴾ (القرآن الكريم, البقرة، الآية ١٠٢).

أما المقصود من هذه الآية فهو"أتبعوا أي اليهود، ما تتلو الشياطين من كذب وتلفيق، على ملك أي في أيام ملك سليمان، وما كفر سليمان، لأنّه لم يتبع أكاذيب الشياطين، ولكن الشياطين كفروا، لأنّهم يعلمون الناس السحر والسحر عمل غير مشروع، و أتبع اليهود أيضاً ما أنزل على أي ما توصل إليه، وليس الانزال بمعنى النزول من السماء وهذا من قبيل ما نقوله من أنّ فلانا قد ألهم قصيدة جيدة أو أوحيت له قصيدة رائعة فإننا لا نعني بذلك المعنى الغيبي من الإلهام والوحي، وتكون الخلاصة أنّ اليهود قد اتبعوا ما توصل إليه وأنزل على الملكين قراءة بعض القراء بفتح اللام ويعنون به تشبيههما بالملائكة لورعهما وتقواهما، وقرأه بعضهم- ومنهم ابن عباس- بكسر الام من الملك، وهذان كانا ببابل وأسمهما هاروت وماروت، وكانا يتقنان السحر، ولكنهما ما يعلمان من أحد هذا العلم حتى يقولا: إنّما نحن بما نتقن من هذا السحر فتنة وامتحان، لما يتضمنه هذا العلم من جوانب الخير وجوانب الشر والخطر، ولذلك فلا تكفر أيها المتعلم للسحر باستعمالك إياه في طريق الشر والضلال، ولكن اليهود لم يكترثوا لهذا التحذير فيتعلمون منهما السحر ثم يطبقونه عملياً على ما يفرقون به بين المرء وزوجه"(آل ياسين، ١٩٧١م، ص٤٧- ٤٨)، ومن ذلك فإنّ هاروت وماروت هما من الموجودات المرئية يسكنان بابل ويعلمان السحر ولا يمكن عدهما من الملائكة (آل ياسين،ص٤٨)، وبذلك فإنّ صادق جلال كان بنقده هذا وإنكاره وجود كائنات حقيقية ذكرها القرآن الكريم أسفر عن غرضه الحقيقي وهو نقد الدين لا الفكر الديني فحسب كما زعم(فليح, نيسان ٢٠١٨م، ص١٤٧٦).

ثانياً: نقد الأساس البيولوجي لموقف صادق جلال من الفكر الديني

أ- تأسيس موقف صادق جلال على البيولوجيا

قدم صادق جلال نقداً لمن يقول بانسجام الإسلام مع العلم الحديث، استناداً إلى الوصف القرآني لأصل الأنسان وتكوينه في سورة المؤمنون، قال تعالى ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾(القرآن الكريم، المؤمنون، الآية من١٢- ١٤).

فذهب صادق جلال إلى أنّ عملية نمو الخلية البشرية وفقاً لهذا الوصف القرآني تعتمد على التدخل الإلهي المباشر والمستمر لنقلها من طور إلى آخر، إذ قال: "من الجلي أنّ عملية نمو الخلية البشرية بالنسبة إلى هذا الوصف القرآني تعتمد على التدخل المباشر والمستمر من قبل الله لنقلها من طور إلى آخر، أي أنّ نقلها من نطفة إلى علقة يحتاج إلى عملية خلق جديدة، كما أنّ نقلها من طور العلقة إلى طور المضغة يحتاج كذلك إلى عملية خلق أخرى"(العظم,١٩٧٠،ص٤٠).

ISSN (Print): 1994-8999, ISSN (online): 2664-469X. DOI Prefix: 10.36317

ومن ثَمَّ فإنّ هذا الوصف القرآني في رأي صادق جلال يبين أنّ نمو الخلية البشرية يشكل معجزة إلهية، إذ قال: "إنّ نمو الخلية البشرية يشكل معجزة إلهية لا تعليل لها سوى قدرته المطلقة على الخلق وتدخله المباشر في سير أمور الكون" (العظم، ص٤٠) وإنّ هذا الوصف القرآني لا يتفق مع ما بينه علم الأجنة في رأي صادق جلال من أنّ نمو الخلية البشرية لا يشكل معجزة إلهية بل أنّ الخلية البشرية تنمو بالتطور العضوي وفقاً لقوانين طبيعية، إذ قال: "هل يتفق هذا الوصف والتعليل مع معارفنا العلمية عن الموضوع ومع ما يبينه لنا علم الأجنة حول تطور الخلية البشرية في مراحلها الأولى؟ الجواب هو حتماً بالنفي لأنّ علم الأجنة لا يدع مجالاً للشك في أنّ الخلية تنمو بالتطور العضوي من طور إلى آخر وفقاً لقوانين طبيعية معينة بحيث تنمو المرحلة المتأخرة من صلب المرحلة السابقة عليها وعلى أساس معطياتها الأولية، كل ذلك بصورة تسمح لنا بالتنبؤ بتطور الخلية وبالمراحل المستقبلة التي ستمر بها وتمكننا من التحكم بنموها بحيث نستطيع تأخيره أو إسراعه أو تشويهه (إنْ شئنا ذلك) بتعريضها لمواد كيمياوية معينة أو لأنواع محددة من الأشعة"(العظم, ١٩٧٠، ص٤٠).

وعَوَّلَ صادق جلال في نقده للموفقين بين العلم والدين في آية الخلق على أساس علم الأجنة الذي يرى أنّ كل المعلومات الخاصة بالجنين وعمليات تكوينه تكون محدده مسبقاً ومحمولة في الحامض النووي الرايبوزي منقوص الأوكسجين DNA (مغير, ٢-١٧-٢٠١٢م).

ب- نقد تأسيس صادق جلال لموقفه على البيولوجيا

بين محمد حسن آل ياسين أنّ صادق جلال في كلامه كان يخلط بين الإيجاد الأول وبين إيجاد القانون الطبيعي، في حين لا يصح الخلط بين الجانبين، فإنّ الله عندما أوجد الإنسان الأول- زوجين- خلق فيهما من الطاقات والإمكانات والقوى ما يقوم به الزوجان- بسببها- بعملية تكثير الإنسان على سطح الأرض، وهذا هو ما يسمى بالقانون الطبيعي، وأنّ الآيات التي أستشهد بها صادق جلال إنّما تتحدث عن هذا القانون وتطور الخلية فيه، من دون أنْ يسمي كل جنين معجزة إلهية منسوبة إلى قدرته المطلقة، بل أنّ المعجزة الإلهية والقدرة المطلقة تكمن في خلق الإنسان الأول بما اشتمل عليه من قوانين طبيعية وقوى خاصة أعدت إعداداً دقيقاً للقيام بهذه المهمة الكبرى في الأرض(آل ياسين, ١٩٧١م،ص٤٩).

ويرد محمد مهدي شمس الدين على كلام صادق جلال بأنّ الظاهرة تارة تكون خارقة للطبيعة (معجزة) التي تكون نتيجة للتدخل الإلهي المباشر، وأخرى تكون طبيعية تتبع بصورة مباشرة أسبابها الطبيعية ومن ذلك نمو الجنين في الرحم فأنَّه تابع لأسبابه الطبيعية المباشرة، وأنّ إسناد عملية الخلق إلى الله في هذه الآيات؛ لأنّ الله تعالى هو العلة الأولى والنهائية في سلسلة العلل المتصاعدة فهو سبحانه وتعالى خلق الأسباب وجعل العلل وفقاً لهذا النظام الذي يحكم الكون كله(شمس الدين, ٢٠٠٦م، ص١٢٨).

فضلاً عن أنّ الأبحاث العلمية تثبت أنّ الحمض النووي DNA لديه بنية مثالية لنقل المعلومات، وأنّه ليس هنالك أي كيان في الكون بإمكانه تخزين ومعالجة المعلومات وبكفائه أعلى

ISSN (Print): 1994-8999, ISSN (online): 2664-469X. DOI Prefix: 10.36317

من جزيء DNA، حيث يوجد بداخل مجموعة كاملة من DNA البشري ثلاثة مليارات حرف فردي، وعند تحليل المناطق المشفرة له تبين أنّ رموزها الكيميائية لها ترتيب محدد تتيح لها نقل معلومات أو تعليمات مفصلة يشبه إلى حد كبير الحروف التي في الجمل المفيدة وذات مغزى، فهو كبرنامج الكمبيوتر ولكنه أكثر تعقيداً من أي برنامج ابتكرناه، ومن ثم يأتي التساؤل عن مصدر هذه المعلومات اللازمة لبناء الخلية الحية الأولى؛ وفي الوقت الحاضر لا يوجد تفسير مادي ولا أي سبب طبيعي لإنتاج المعلومات، ولا الانتقاء الطبيعي، ولا العمليات التنظيمية الذاتية، ولا الصدفة وحدها، ومن ثم فإنّ أفضل تفسير لهذه المعلومات هو الذكاء(مركز براهين, ٢٠١٥).

ثالثاً: نقد الأساس الفيزيائي لموقف صادق جلال من الفكر الديني

أ- تأسيس موقف صادق جلال على الفيزياء

أَوْرَدَ صادق جلال نقداً للشيخ نديم الجسر حول موضوع الملائكة والجن وانسجام الاعتقاد بها مع العلم الحديث، إذ أستند الشيخ نديم الجسر على النظرية الموجية في الضوء في ذلك، إذ قال: "لقد كان تصور الملائكة والجن، لعمري، أكثر صعوبة قبل اكتشاف نواميس الضوء أما اليوم بعد معرفة أمواج الضوء وأنواعها من المنظورة وغير المنظورة وسلالمها الكثيرة التي يقع العالم المنظور في سلم واحد منها فقط، فقد أصبح من قبيل التعنت والمراء أنْ نقف من الملائكة والجن موقف الإنكار"(مجلة دعوة حق، د.ت).

ويعترض صادق جلال على كلام نديم الجسر السابق ويرى أنّهُ ليس هنالك علاقة تربط بين نظرية الضوء ووجود الملائكة، فأنّ هذه التموجات هي أحداث فيزيائية مادية وهذه كائنات غيبية روحية، إذ قال: "لا أدري ما هي طبيعة العلاقة التي يجدها سماحة الشيخ الجسر بين نظرية الضوء من ناحية ووجود الجن والملائكة من ناحية أخرى؟ يقول علم الفيزياء أنّ سرعة موجات الضوء، ٣٦٠ ألف كيلو متر في الثانية، وهذه التموجات هي أحداث فيزيائية (مادية) طبيعية خاضعة للقياس الرياضي الصارم، فكيف يتسنى لنا ربطها بكائنات غيبية روحية مثل الملائكة والجن؟ ولا شك أنّ أمواج الضوء تأتي على سلالم كثيرة (بسبب طول الموجة وقصرها)، منها المنظور ومنها غير المنظور، بيد أنّ غير المنظور منها يمكننا التيقن من خصائصه وطبيعته بواسطة الأجهزة العلمية اللاقطة لهذه التموجات، فهل يقصد سماحته التلميح إلى إمكان وجود أجهزة علمية لاقطة لتموجات ضوئية ((ملائكية)) و((جنية)) تحدد لنا بوضوح رياضي وتجريبي طبيعة هذه الكائنات؟" (العظم ،١٩٧٠، ص٣٧- ٣٨).

إذ أستند صادق جلال في رده على نديم الجسر والموفقين بين الدين والعلم في مسألة وجود الملائكة على النظرية الموجية في الضوء التي ترى أنّ الضوء عبارة عن موجات من الحقول الكهربائية والمغناطيسية المتناوبة، حيث لا يختلف أنتشار الضوء كثيراً عن عبور الأمواج للمحيطات، وككل الأمواج يمتلك الضوء بعض الخواص الأساسية التي تصفه، ومن هذه الخواص هي خاصية التردد (واحدته الهيرتز) والذي يمثل عدد الموجات التي تمر بنقطة ما في

ISSN (Print): 1994-8999, ISSN (online): 2664-469X. DOI Prefix: 10.36317

الثانية الواحدة، الخاصية الأخرى للضوء هي خاصية الطول الموجي وهو المسافة بين قمتين متتاليتين(موقع ناسا بالعربي، ٢٠١٧)، وتربط هاتين الخاصيتين علاقة عكسية حيث أنّه كلما أزداد التردد قل الطول الموجي، والعكس صحيح (شمعون ومجاهد ، ٢٠١٧م، ص٤٨).

فيبدأ الطيف المرئي (الإشعاع الكهرومغناطيسي الذي نستطيع رؤيته) عند ٠,٧٥ ميكرون (٠,٧٥ جزء من ألف من المليمتر)، وهذا هو الضوء الأحمر، ويستمر الطيف المرئي ليشمل الضوء البرتقالي، والأصفر، والاخضر، والأزرق، والنيلي، والبنفسجي، ليصل في النهاية إلى الموجات فوق البنفسجية عند حوالي٠,٣٥ ميكرون، ويعد الضوء الأبيض مزيجاً من كل ألوان الطيف المرئي(Parsons، ٢٠١٨م، ص٤٣- ٤٤).

وهنالك فوق ألمع الموجات الزرقاء المرئية في الطيف موجات أقصر غير مرئية، هي الموجات فوق البنفسجية والأشعة السينية واخيراً أشعة جاما المتناهية في الصغر، التي يبلغ طول الموجه فيها جزءاً من البليون من البوصة، كما أنّ هنالك دون أقتم الأشعة الحمراء المرئية أشعة أطول هي الأشعة دون الحمراء غير المرئية، والموجات الدقيقة وموجات اللاسلكي، والنبضات الدقيقة التي قد تبلغ أطوال موجاتها ملايين الكيلو مترات(برجاميني، ١٩٧١م، ص٣٦).

إذ يشكل الطيف الضوئي بشقيه المرئي والخفي جزءاً صغيراً ومحدوداً من طيف ممتد وكبير يسمى الطيف الكهرومغناطيسي (مؤوسسة الكويت للتقدم العلمي، ٢٠٠١م)، فيغطي الطيف الكهرومغناطيسي المدى الموجي لأشعة جاما بطول موجي ١٠-١٢ سنتيمتر ثم الأشعة السينية، فالضوء المرئي، ثم الموجات الدقيقة فموجات الراديو التي يتعدى طولها الموجي عدة مئات من الكيلومترات(زكي، ٢٠٠٠م، ص٢١).

وباستخدام تيلسكوبات حساسة لنطاقات مختلفة من الطيف يحصل الفلكيون على لمحة عن مجموعة كبيرة من الأجسام والظواهر المتواجدة في الكون(موقع ناسا بالعربي،٢٠١٧م).

وفي النهاية فإننا عندما نفكر بالضوء فإننا نفكر في ما بإمكان أعيننا رؤيته، ولكن الضوء الذي تحسسه أعيننا هو فقط البداية فهو يمثل جزءاً صغيراً من مجموعة الأضواء التي تحيط بنا، فإنّ معظم الضوء المتواجد في الكون هو في الحقيقة ضوء غير مرئي بالنسبة لنا (موقع ناسا بالعربي).

ب- نقد تأسيس صادق جلال لموقفه على الفيزياء

وفي الردّ على كلام صادق جلال السابق يرى محمد مهدي شمس الدين أنّ سخرية صادق جلال لا معنى لها، فليس المقصود من نص نديم الجسر هو أنّ بالإمكان اكتشاف موجات ضوئية جنية وملائكية، وإنّما المراد منه هو أنّ ثمة عوالم غير منظورة كثيرة وراء عالمنا، فعدم اطلاعنا على تلك العوالم وتركيبها لا ينفي وجود كائنات غير منظورة وذات طبيعة غير إنسانية فيها (شمس الدين،٢٠٠٦م، ص١٢٥).

فضلاً عن أنّ هنالك من الظواهر التي أقر بها العلماء وسلموا بها وعدوها من القوانين الثابتة دون أنْ يشاهدوها كقانون الجاذبية مثلاً، فهو قانون غدا من الحقائق العلمية الطبيعية لدى العلماء الماديين، دون أنْ يعرفوا حقيقة هذه الطاقة، أو يشاهدوها بأدواتهم وأنْ يعرفوا كنهها،

ISSN (Print): 1994-8999, ISSN (online): 2664-469X. DOI Prefix: 10.36317

ولكنهم أثبتوها بالاستنتاج العقلي استناداً إلى ما شاهدوه من ظواهرها وآثارها(حبنكة، ١٩٩٢م، ص٩٠).

الخاتمة:

١- إنّ الموقف النقدي لصادق جلال من القصص القرآني هو موقفٌ مقتصرٌ على الحسّ فقط، إذ عدّ ما موجود في القرآن الكريم أساطير، وأنكر وجود المخلوقات الغيبية ولم يعدّها موجودات حقيقية، ولكن عدم رؤية الملائكة والجن بالحس لا يشكل دليلاً على عدم وجودها، فهنالك كثير من الموجودات في الكون والفضاء التي لا يمكن رؤيتها ومع ذلك لا ننكر وجودها، وعدم رؤيتنا لها لا ينفي وجودها، فضلاً عن أنّ هنالك ظواهر طبيعية لا يمكن رؤيتها ولكن العلم أثبتها على أساس آثارها وليس على أساس رؤيتها الحسية كالجاذبية مثلاً.

٢- تجاوز صادق جلال لأسيجة نقد الفكر الديني واقتحامه لحدود الدين، إذ عدَّ هاروت وماروت ويأجوج ومأجوج من الموجودات الأسطورية، فهو بهذا صار ناقداً للدين وليس ناقداً للفكر الديني، ففي القرآن الكريم من الآيات الكريمة التي تبيّن أنّهم من الموجودات الواقعية المرئية.

٣- ابتناء انتقاد صادق جلال للتوفيق بين العلم والدين، بالاعتماد على علم الأجنة، هو ابتناء قائم على خلط بين الإيجاد بالقانون الطبيعي وبين الإيجاد الأول، إذ رأى أنّ آية الخلق تشير إلى التدخل الإلهي لنقل الخلية البشرية من طور إلى آخر، بينما يشير علم الأجنة إلى أنّ الخلية البشرية تنمو بالتدرج وأنّ كل المعلومات الخاصة بالجنين تكون محددة مسبقاً ومحمولة في DNA، لكن نمو الجنين في الرحم هو نتاج أسباب طبيعية، وأنّ الله هو العلة الأولى والنهائية في سلسلة العلل المتصاعدة، فضلاً عن أنّ في الحمض النووي DNA من المعلومات الدقيقة التي تدفعنا إلى التساؤل عن مصدر هذه المعلومات اللازمة لبناء الخلية الأولى، ولا يوجد تفسير حالي لها أفضل من القول إنّ مصدرها هو الذكاء.

٤- انقلاب استدلال صادق جلال عليه، فاستدلاله، في نقده للتوفيق بين العلم والدين باعتماده على النظرية الموجية في الضوء، هو استدلال مقلوب، فقد أثبتَ شيئاً من حيث أراد إنكاره، إذ أثبتَ وجود غير المرئيات من حيث أراد إنكار وجودها، فالنظرية الموجية تقرر وجود موجات غير مرئية إلى جانب تقريرها وجود موجات مرئية، فضلاً عن تقريرها في الوجود أنّ ما هو مرئي يشكل نسبة ضئيلة بالقياس إلى ما يشكله ما هو غير المرئي، وهذا ما يثبت التقاء العلم والدين إذ يدلل على أنّ هنالك عوالم غير منظورة وراء عالمنا، وأنّ عدم رؤيتنا لها لا ينفي وجودها.

ISSN (Print): 1994-8999, ISSN (online): 2664-469X. DOI Prefix: 10.36317

1- Data Availability Statement: (The manuscript includes all the data used in the study.)
2- Conflict of Interest Statement: (The authors confirm that there are no conflicts of interest that could affect the content of this research.)
3- Funding Statement: This research was fully funded by the authors without any financial support from other entities.

قائمة المصادر والمراجع:

القرآن الكريم

Parsons, Paul,(٢٠١٨), *١٠٠ فكرة عن العلوم (الفيزياء- الكيمياء- الأحياء)*,ط١, ترجمة: هناء محمد محمد، مراجعة: فايز ميلاد، المجموعة العربية للتدريب والنشر، مصر.

آل ياسين, محمد حسن, (١٩٧١) ,*هوامش على كتاب نقد الفكر الديني*، ط٢, دار النفائس ومؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت .

برجاميني, دافيد,(١٩٧١),*الكون*, (من دون ذكر رقم الطبعة) ,المترجم: نزيه الحكيم,التعريب: دار الترجمة والنشر لشئون البترول- بيروت، المُراجع: مكرم عطيه وجمال الدين الفندي، الناشر لايف المكتبة العلمية.

حبنكة,عبد الرحمن حسن (١٩٩٢), صراع مع الملاحدة حتى العظم, ط٥, دار القلم، دمشق.

حنفي, حسن, (١٩٨٣), ط٢, دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت.

زكي, محمد (٢٠٠٠),*دنيا الفيزياء*، ط١, كراسات (علمية) مجموعة علماء المستقبل, المكتبة الأكاديمية، القاهرة.

شمس الدين,احمد مهدي,(٢٠٠٦) ,*مطارحات في الفكر المادي والفكر الديني*, ط١,تحقيق: محمد صادق، إشراف: سامي الغريري، مؤسسة دار الكتاب الإسلامي للنشر، القاهرة، مطبعة ستار.

شمعون ومجاهد, وأحمد محمود وعماد , (٢٠١٧),*مقدمة في علم الفلك الحديث*, (من دون ذكر رقم الطبعة),صناع التغيير دار الخليج للصحافة والنشر, عمان.

العظم ,صادق جلال,(١٩٧٠), ط٢ ,دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت.

فراج ,جابر حمزة, (١٩٨٢) ,*البرهان اليقيني للرد على كتاب نقد الفكر الديني*, ط٣,منشورات دار الآفاق الجديدة, بيروت.

فليح, وسام حسن, (نيسان ٢٠١٨),*نقد (نقد الفكر الديني عند صادق جلال العظم) دراسة لـ (هوامش محمد حسن آل ياسين)*, مجلة كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية والإنسانية, جامعة بابل, ج٢, العدد ٣٨.

ISSN (Print): 1994-8999, ISSN (online): 2664-469X. DOI Prefix: 10.36317

العـــــدد ١١٠, *ركـــــائز التفكيـــــر الإســـــلامي*,مجلـــــة دعـــــوة حـــــق
http://www.habous.gov.ma/daouat-alhaq/item/2549
مركز براهين, (٢٥-٤-٢٠١٥)*,لغز الحياة: الحجة العلمية للتصميم الذكي*, فلم وثائقي من إنتاج ,Illustra Media ترجمة : عبد الرحمن بشارة وعمرو طارق
https://www.youtube.com/watch?v=xDzdwuAHa-w
مغير, عباس حسين,(١٧-٢-٢٠١٢),*علم الأجنة (تعريف علم الأجنة ونظرة تاريخية)*, كلية التربية الأساسية- جامعة بابل
http://www.uobabylon.edu.iq/uobColeges/lecture.aspx?fid=11&lcid=27345
مؤسسة الكويت للتقدم العلمي,*نبذة تعريفية عن الضوء "الطيف الضوئي" وكيفية تكونه*
http://ksag.com/index.php/Articles/SingleArticle/artID/17610#pageContent

موقع ناسا بالعربي,(٢٩-٩-٢٠١٧), *ما هو الطيف الكهرومغناطيسي*
https://nasainarabic.net/education/articles/view/what-is-the-electromagnetic-spectrum

ISSN (Print): 1994-8999, ISSN (online): 2664-469X. DOI Prefix: 10.36317